تخلو من هذا التَّكلُّف ومن المُحَسِّنات البديعِيَّة ، ولكن البوصيري بلغ فيها من صِدْق التَّعبير ما ارتفع بها إلى مستوًى لم يقاربه سائِرُ شعره ، وحتى الزَّخارفُ اللَّفظيَّة نفسها أتت – في أكثر الأحيان – مقبولةً لا يضيق بها الذَّوق . وهذا هو ما ضمن للبردة شهرةً وذيوعاً لم تبلغهما أيُّ مِدْحةٍ نبويَّةٍ أخرى ، على كثرة ما نُظِمَ في عصرها وبعد ذلك حتى اليوم ؛ وهو ما يفسِّر اهتمام الأدباء والعلماء بها من عرب وغير عرب ، بشكل لا نكاد نجد له مثيلاً مع أيِّ نصٍّ شعريٍّ آخر .

فقد أحصى بروكلمان من شروحها المخطوطةِ المحفوظةِ في مكتبات العالم أكثرَ من مائة شرح ، فضلاً عَمّا فُقِد ، ومن التَّشْطيرات والتَّخميسات وما إليها ما يَزيد على هذا العدد . أما المعارَضَاتُ فإنها لا تكاد تُحْصَى ، وما زلنا نرى حتى اليوم مِن الشُّعراء مَنْ تستهويهم معارضةُ البردة والنَّظْمُ على نهجها . وسوف نرى من بين هذه المعارَضات مجموعةً ذات هدف مزدَوِج : مدحِ الرَّسول من ناحية ، وتفصيلِ أنواع البديع من ناحيةٍ أخرى ، وهي المعروفة باسم البَديعِيّات التي تستحقُّ وقفة خاصَّة .

* * *

المدائح النَّبويَّة في المغرب العربيِّ

شهدنا في الصَّفحات السّابقة العوامل التي أحاطت بنشأة المدائح النَّبويَّة وتطوُّرها في الشَّرق العربيِّ ، والآن لِنَرَ كيف كان أمر هذه المدائح في الجَناح الغربيِّ من عالم الإسلام .

إن بلاد المغرب العربيِّ الممتدَّة من حدود مصر الغربيَّة إلى الأندلس ، لم تصبح جزءاً من « دار الإسلام » إلا في زمن متأخِّر نسبيا ، فالمغربُ لم يتمَّ فتحه إلا في حدود سنة سبعين للهجرة ، والأندلسُ بعد هذا التَّاريخ بنحو عشرين سنةً (في سنة اثنتين وتسعين) ، ومنذ ذلك الوقت بدأت تتشكَّل في هذه الرُّقعة